رسائل الانتقاد

تابع لما سبق

قال أبو الريان ومن شر عيوب الشعر كلها الكسر لأنه يخرجه عن نعته شعراً وليس مما يقع إلا من نعت بشاعر . ثم الاقواء . والايطاء . والسناد . والاكفاء (١) . والزحاف . وصرف ما لا ينصرف فكل ذلك يستعمل الآن والسالم من جميع ذلك أجمل وأفضل

قال ومن عيوبه المشهورة مجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقاربها مثل قول الكميت

حتى تكامل فيها الدل والشنب (٢)

وكما قال بعض المتأخرين في رثاء

فلك غيبت في حفرة   تزاحم فيها نعيم وحور

وإن كان النعيم والحور من مواهب أهل الجنة فليس بينهما في النفوس تقارب . ولا لفظة تزاحم مما يجمع بين الحور ولا النعيم . ومثله قول بعضهم

والله لولاك [illegible] نعيما   وصبا وإن كان التصابي أجدرا
لأعاد تفاح الخدود بنفسجاً   لثمي وكافور الترائب عنبرا

فالتفاح ليس من جنس البنفسج لأن التفاح ثمرة والبنفسج زهرة . وقد أجاد في جمعه بين الكافور والعنبر لأنهما من قبيل واحد . ولو قال

لأعاد ورد الوجنتين بنفسجاً   لثمي وكافور الترائب عنبرا

لأجاد الوصف . وأحسن الرصف . لكون الورد من قبيل البنفسج . فهذا النوع فافتقد . وهذا الشرع فاعتمد

وقال أبو الريان وللفحول المتقدمين سقطات مختلفات في أشعارهم أذكر منها في أشياء استدل بها على أن العصمة لا تطلب الزلات . ولا لاقتفاء الهنات . كان بشار تتباين حالات شعره فيه ما تكريرها . ويسيرها قليلا كثيرها . وكذلك كان حبيب ابن أوس الطائي إذا سمعت جيدهما كذبت أن رديهما لهما . وإذا صح عندك أن ذلك

---

(١) قال الخليل : الاقواء أن يكون بعض القوافي مرفوعاً وبعضها منصوباً أو بعضها مخفوضاً . والاكفاء أن يكون بعض القوافي على حرف وبعضها على حرف آخر . والايطاء إعادة القافية من غير اختلاف المعنى (كتاب خاص الخاص طبعة تونس ص ٥٩) .

(٢) وبكتاب الصناعتين : حور تكامل فيها الدل والشنب

الردي في الصمت أن جيدهما [illegible] . قال ومما يعاب من الشعر الافتتاحات الثقيلة مثل قول حبيب أول قصيدة

هن عوادي يوسف وصواحبه ** فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه[1]

ومثل قول ديك الجن أول قصيدة

كأنها كأنه[2] خلل الخلة وقف الهلوك اذ بغما

فابتدأ هو وحبيب بمضمرات على غير مظهرات قبلها وهو رديء . قال ويعاب أيضاً الافتتاحات المتطير بها . والكلام المضاد للغرض كابتداء قصيدة ابي نواس التي انشدها الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي يهنيه ببنيانه الدار الجديدة فدخل اليه عائد كالها وقد جلس للهناء والدعاء وعنده وجوه الناس فأنشده

أربع البلى إن الخشوع لبادي[3] ** عليك واني لم أخنك ودادي

فتطير الفضل من ذلك ونكس رأسه وتناظر الناس بعضهم الى بعض ثم أدى ختم الشعر بقوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم ** بني برمك من رائحين وغادي

فكمل جهله وتم خطؤه وزاد التطير المتوقعة لخطوب سريعة توقعها . واصاب النفوس المتوجعة بذكر الموت شدة توجع . وأراد ان يمدح فهجا . ودخل ليسر فشجا . قال وقريب من هذا ما وقع للمتنبي في اول شعر انشده كافوراً

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا ** وحسب المنايا ان يكن امانيا

فهذا خطاب بالكاف قبيح ولا سيما في اول لقية . وفي ابتداء واستعطاف ورقية . وفي هذا البيت غير هذا من العيوب سنذكره بعد

ووقع مثل هذا من قبح الاستفتاح في عصرنا وذلك ان بعض الشعراء انشد بعض الامراء في يوم المهرجان فقال :

---

(١) قال ابو هلال العسكري (كتاب الصناعتين) ص ٤١ نظر ابو العميثل في قصيدة ابي تمام

هن عوادي يوسف وصواحبه ** فعزماً فقدماً ادرك السؤل طالبه

استرذل ابتداءها فاسقط القصيدة كلها حتى صار اليه ابو تمام ووقفه على موضع الاحسان منها فراجع عبد الله بن طاهر فأجازه

(٢) روى ابن رشيق في العمدة — ما كأنه بدل يا كأنه — (٣) جاء في ديوان ابي نواس البلاء عوض البلى . ولباد بدل لبادي —

لا تقل بشرى ولكن بشريان ... وجه من أهوى ووجه المهرجان[1]

وأمر باخراجه واستطال بكشاحه وحرمه احتماله قال ابو الريان ولو كان هذا الشاعر حاذقاً لكان اصلاح هذا الفساد ايسر الاشياء عليه وذلك بأن يعكس البيت فيقول

وجه من اهوى ووجه المهرجان ... اي بشرى هي لا بل بشريان

قال ــ ويقبح جداً ان يأتي بكلمة القافية مبهمة لا ترتبط بما قبلها من الكلام وانما هي مفردة لحشو القافية كقول بعضهم

ولمت البنى برغم الاعادي ... وابقاك صالحاً رب هود[2]

فأنت ترى ان في هذه القافية والله تعالى رب جميع الخلق وكل شيء فخص هوداً عليه السلام وحده لضعف نقده وعجزه عن الاتيان بقافية تليق وتحسن

قال ــ ويقبح ايضاً الخطأ في التشبيب بل الطيب والتغزل بعده · وخطاب الاحباب بما هو ضده · كقول ابي نواس

أجارة بيتينا ابوك غيور ... وميسور ما يرجى لديك عسير[3]
فان كنت لاخلاً ولا انت زوجة ... فلا برحت منا عليك ستور
وجاورت قوماً لا تزاور بينهم ... ولا قرب الا ان يكون نشور

فما سمع باوحش من هذا التشبيب · ولا اخشن من هذا النسيب · وذلك قوله ان تكوني لي زوجة ولا صديقة فلا برحت منا ستور الباب عليك ولا كان جارك ما عشنا نحن الا الموتى الذين لا يتزاورون ولا يترصون الى يوم النشور ان كلامه ليشهد عليه بانه شاك وانما المعروف في اهل الرقة والظرف · والمعهود من اهل الوفاء والعطف ·

---

[1] (١) ورد عجز البيت في كتاب الصناعتين هكذا : غرة الداعي ويوم المهرجان وقائل البيت ابو مقاتل انشده الداعي فاوجعه الداعي ضرباً ثم قال — هلا قلت :

ان تقل بشرى فعندي بشريان

[2] (٢) قائل البيت ابو عدي القرشي ورواه قدامة في نقد الشعر ص ٨٩ هكذا

وقيت الحتوف من وارث وا ... ل وابقاك صالحاً رب هود

[3] (٣) هذه الابيات من قصيدة فريدة مدح بها ابو نواس الخصيب بن عبد الحميد العجمي ثم المرادي امير مصر · وقد وجد بعض الاختلافات في روايتها منها في البيت الثاني : خلماً وهو الصديق والصاحب بدل خلاً · وزوجة بدل ــ زوجة · ودوني عوض منا — وفي البيت الثالث . وصل بدل قرب

ان يفدوا احبابهم بالنفوس . من كل مكروه وبوس . فأين ذهبت ولادته العصرية وآدابه البغدادية . حتى اختار الغدر في اوفاه وطالت به طباعه الى اجفاء الجفاء . فاقرأ هذا واياك ان تعمل به .

قال ومن عيوب الشعر السرق وهو كثير الاجناس . في شعر الناس . فمنها سرقة الفاظ . ومنها سرقة معان . وسرقة المعاني اكثر لأنها اخفى من الالفاظ . ومنها سرقة المعنى كله . ومنها سرقة البعض . ومنها مسروق باختصار في اللفظ وزيادة في المعنى وهو احسن المسروقات . ومنها مسروق بزيادة الفاظ وقصور عن المعنى وهو اقبحها . ومنها سرقة محضة لا زيادة ولا نقص والفضل في ذلك للمسروق منه ولا شيء للسارق كسرقة ابي نواس بيت هذه القصيدة التي ذكرناها من ابي الشيص بكماله .

قال ابو الشيص

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم[١]

فسرقه الحسن بكماله فقال

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير[٢]

فهذا عندي ان بيت ابي الشيص احلى واطبع ومع حلاوته جزالة . وقد ذكر عن الحسن انه قال ما زلت احسد ابا الشيص على هذا البيت حتى اخذته منه وسرقة المعاصر سقوط همة . وبهذه القصيدة يناضل اصحاب الحسن عنه ويخاصمون خصماءه مقرين بان ليس له افضل منها . ولا لم الى سوى هذه القصيدة معدل عنها . فقس بفهمك واعمل فكرتك في ما وصفناه من ابواب السرق ما وجدته في اشعار لم اذكرها يظهر لك جميع ما وصفناه . ويبدو لك جميع ما رسمناه قال ومما يقع في عيوب الشعر ويغفل الشاعر عنه ويجوزه الامر فيه لصغر جرم العيب وسلامة اللفظ الذي اشتمل فيه ثم يكون ذلك سبب غفلة النقاد ايضا عنه مثل قول المتنبي

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

فضع هذا الكلام في انه انما شكا داءه . ووصفه بالعظم فعاد شاكيا نفسه وجعلها اعظم الداء لانه اراد كفى بدائك داء عظيما وقال كفى بك داء فصار كفى بالسلامة

---

(١) قصيدة ابي الشيص التي طالعها هذا البيت تعد من ابلغ ما قيل في التشبيب

(٢) ورد عجز البيت في نسخة خطية من ديوان ابي نواس على هذه الصورة :

ولكن يسير الجود حيث يسير

داء فالسلامة في الحياة يريد طول البقاء سبب للفناء · وقال الله تعالى وكفى بنا حاسبين فالله هو اعظم شهيد فجعل الشيء نفسه اعظم الداء ولم يرد الا استقصاء دائه واصلاح هذا الفساد · وبلوغه الى المراد · ان يقول

كفى بالمنايا ان تكن امانيا   وحسبك داء ان ترى الموت شافيا

فيعود الداء المستعظم كالدواء لتزول خشونة ندائه · وشدة جفائه · اذ خاطب الممدوح بكاف فجعله داء مضنيا في اول كلمة سمعها منه · وقد ادب خواص الناس وكثير من عوامهم في مثل هذا المكان فهم يقولون عند مخاطبات مشبهة مما يخشى ذكره قلت للابعد ويا كذا او كذا للابعد

ومن عيوب هذا القسم ايضاً ان قائله قصد الى سلطان جديد والى مكان يحتاج فيه الى التعظيم والتفخيم وقد صدر عن ملك نوه به اعني سيف الدولة وأغناه بعد فقره وشرفه ورفعه · وأدنى موضعه · فورد الى كافور هذا في مرتبة شريفة · وحظة منيفة فجعل بجهله يصفه في اول بيت لقيه به انه في حالة لا يرى معها الشفاء · او يرى المنية اعظم أمنية · وعلم كافور بذكائه ووصول أخبار الناس اليه انه في حالة خلاف ما قال وانه كفر النعمة من المنعم عليه وأراه ان جميع ما عامله به من الجاه الواسع · والغنى القاطع حقير لديه · صغير في عينيه · فعلم كافور في هذا الوقت انه ممن لا تزكو لديه الصنيعة وان عظمت · ولا تكبر في عينيه المواهب وان جسمت · ولم يكن في خلق كافور من الصبر الى اتباع البذل · ولا من الرغبة في اهل الآداب والفضل ما عند سيف الدولة من ذلك فزهده فيه بعد رغبة وعلله بالقليل · وشافهه بالجزيل · ورأى المتنبي ان الاسود ليس له في قلبه من الحب والقرب ما له عند سيف الدولة فلم يدل عليه ولا اكثر من التعتب والعتاب ما يعطفه عليه فضاع وضاع · وكان يتوقع الايقاع · واكثر الى ان تم تجافيه وركوب طريق الهرب وأقر ان يعترف لسيف الدولة بالذنوب · وكان لطفه وشعره شريفين · وعقله ودينه ضعيفين · ومع ذلك فسقطاته كثيرة الا ان محاسنه اكثر واوفر · والمرء يعجز لا المحالة · وكان يميل الى تعقيد الكلام ويعتمد على [illegible] فيقول من ذلك ما يصف به ناقته

فتبيت تسئد مسئداً في نيها   اسآدها في المهمه الانضاء

ويقول في المدح

انى يكون ابا البرية آدم   وابوك والثقلان انت محمد

ويقول في بيت آخر من قصيدة أخرى يمدح بها والبيت لا يتعلق بشيء مما قبله فيما قبله ولا فيما بعده بشيء

كانك ما جاودت من بان جوده عليك ولا قاومت من لم تقاوم

ومثل هذا كثير وهذه الاجناس من ابيات وان ظهرت معانيها بعد استقصاء · واطاعت غوامضها بعد استعصاء · فهي مذمومة السلك وان اطلعت منها على اجزل الافادة فكيف اذا حصلت منها على السلامة بلا زيادة · وكان ايضاً يغفل عن اصلاح اشياء من كلامه في قرب ذلك الاصلاح من الفهم · مثل قوله يرثي أخت سيف الدولة

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن اشرف النسب

فقال يا أخت خير وبنت خير كناية عن اشرف النسب والكناية لا تكون الا لشئ تسع فيها الفهم لان الكناية ستر وتعمية فاما شرف النسب يورى عنه تورية المثالب · ويكني عنه والتصريح به من المفاخر والمناقب · وقد غفل عن اصلاح هذا بلفظ فصيح · ومعنى صحيح · قد كاد يبرز من الجنان · الى طرف اللسان · وهو لو فطن اليه

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب غني بهذا وذا عن أشرف النسب

قال ابو الريان وهذه الجملة التي أثبت لك فيها ما دخل على الشعراء المجيدين من التقصير والغفلة والغلط وغير ذلك كافية ومغنية عن ايراد سوى ذلك وان لقيتها بجودة بحث وصحة قياس · لم تحتج الى كشف عيوب اشعار الناس · ولعل قائلاً يقول مالك في هؤلاء · وترك سواهم ابله لي من نكت · والتفضيله من عنه سكت · فقل لمن قال ذلك الامر في خلاف ما ظننت لم أذكر الا الافضل فالافضل · والاشهر فالاشهر · اذ كانت أشعارهم هي المروية · فالحجة بهم · وعليهم هي القوية · فقد نقلته على من ميلي عليهم · الى ميلي بالحق اليهم قال ابو الريان فاما ماذا مستحسن فتتبعه لك يعظم ويتسع لكثرته فلا يمكننا ايراده ولكن ما سلم من جميع ما اوردناه فهو في حيز السالم · ثم تتسع طبقات الجودة فيه · واحسن منه ما اعتدل مبناه · واغرب معناه · وزاد في مجودات الشعر على سواه · ثم يدرج الادون فالادون بمقدار انحطاطه الى حيز السلامة · ثم لا مدح ولا كرامة

قال محمد فقلت لله درك يا ابا الريان فما الين جانبك · وما أقرب غائبك · وما انجح مطالبك · وما اسعد صاحبك · فقال انجح الله مطالبك · واغنى مآربك · وصفى من القذى مشاربك · وبث في الحواضر والبوادي مناقبك

تمت المقامة المعروفة برسائل الانتقاد
بلطف الفهم والاقتصاد
والحمد لله اولاً وآخراً وصلاته على نبيه سيدنا محمد وآله وسلامه